اجتهادات
رؤيتان للتمرد

تزداد فى مراحل التغيير، التى تعقب فترات طويلة من الجمود، حالات التمرد على الواقع، وخاصة فى أوساط الشباب. ويظهر هذا التمرد فى أشكال متعددة بعضها إيجابى والآخر سلبى. ويحتاج قطاع من شبابنا المخلصين للوطن إلى فهم مغزى التمرد على الواقع، وعلاقته بالظروف التى تحيط به. كما يحتاج إلى الإلمام بالخطوط العامة للتمرد عبر التاريخ الطويل منذ عصر الإغريق والصراع بين «يوس وبروميثيو».

وكثيرة هى الأفكار والرؤى التى طُرحت حول التمرد من حيث هو حالة شعورية تتحول إلى سلوك تختلف أشكاله وتتعدد. غير أن هناك رؤيتين إحداهما علمية فلسفية والثانية معبرة عن تجربة حياتية تمثلان اتجاهين رئيسيين فى هذا المجال، ويفيد الإلمام بخلاصتهما فى ترشيد آليات التعامل مع حالات التمرد الشبابى.

تفيد الرؤية المعتمدة على تجربة حياتية فى فهم كيف يمكن أن يؤدى تمرد ما فى ظروف معينة إلى عكس ما يأمله المتمرد. وهذا هو ما حدث لصاحبها الكاتب الفرنسى جول فاليس، كما نفهم من الجزء الثالث فى ثلاثيته الروائية التى تتضمن شيئاً من سيرته الذاتية. ففى هذا الجزء وعنوانه «المتمرد» والذى يركز على ثورة 1781 المعروفة باسم «الكومونة» فى فرنسا، يُبدع فاليس فى تبيان الأزمة التى واجهت متمرداً

مخلصاً (هو نفسه) حين أدى قمعها إلى إسالة دماء فى معركة كان يتمنى عدم وقوعها. فقد كان يحلم بعالم جميل ينتهى فيه العصف بمن لا يرغبون فى الخضوع لأوضاع لا يقبلونها، ولكن بطريقة سلمية غير عنيفة. ولكنه لم يحكم سلبا أو إيجاباً على التمرد الذى يقود إلى العنف، بخلاف الكاتب الفرنسى أيضا ألبير كامو فى كتابه «الرجل المتمرد» الذى صدر بعد ثلاثية فاليس بحوالى 65 عاما. فقد نبه إلى خطر انفلات التمرد الناتج عن شعور عميق بالألم، لأنه قد يؤدى إلى مزيد من الألم. عبر كامو عن تعاطفه مع المتمرد على الواقع حين يسوده الظلم. ولكنه نبه إلى ضرورة اقترانه بوعى كاف بهذا الواقع ومعطياته حتى لا يؤدى القفز عليه إلى عواقب وخيمة من بينها إيجاد مبررات لإطالة أمد الظلم وتسويغه حين يُفرض على مجتمع أن يختار بينه وبين العنف.